المحبـة

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

المحبة ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٢ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٠-٠٤-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الإيمان (الإسلام)　　٢- الحب　　أ.العنوان

ديوي : ٢٤٠　　١٤٣٠/٢٠٧٢

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

المحبـة



١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فسنتحدث في هذا الكتيب عن منزلة المحبة وهي الرسالة **الثالثة** ضمن سلسلة أعمال القلوب التي يسر الله لي إلقاءها في دورة علمية، وشاركني في إعدادها الفريق العلمي في مجموعة زاد، وها هو اليوم يسعى لإخراجها على هيئة مادة منشورة.

إن العبد يسير إلى الله بالحب والخوف والرجاء، فالحب هو الرأس، والخوف والرجاء هما الجناحان.

ولذا تنافس فيها المتنافسون، وإليها شَخَصَ العاملون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تَرَوَّح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وسرور النفوس، ونور العقول، وعمارة الباطن، وغاية الأماني، ونهاية الآمال، وروح الحياة، وحياة الأرواح.

وهي الحياة التي مَن حُرِمها فهو من جملة الأموات، والنورُ الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عُدِمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذةُ التي مَن لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، فهي روح الإيمان والأعمال التي متى ما خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه.

فهنيئاً لمن بلغ تلك المنزلة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

ولقد ادعى كثيرٌ من الناس محبة الله سبحانه وتعالى، ولم يعرفوا ما علامات هذا الحب؟ وما طريقه؟ وما ثمراته؟ فإليكم شيئاً عن هذا العمل القلبي العظيم، لعل الله أن يوفقنا وإياكم إلى صالح الأعمال.



تعريف المحبة

المحبة في اللغة:

قال ابن منظور:

الحُبُّ نَقِيضُ البُغْضِ، والحُبُّ الودادُ والمَحَبَّةُ، وكذلك الحِبُّ بالكسر... وأَحَبَّهُ فهو مُحِبٌّ وهو مَحْبُوبٌ[1].

وقد ذكر ابن القيم في معانيها:

أنها من الصفاء والبياض؛ ومنه قولهم لصفاء الأسنان ونضارتها حبب الأسنان.

وقيل: إنها مأخوذة من العلو والظهور، ومنه حبب الماء وحبابه وهو ما يعلوه عند المطر الشديد ، وحبب الكأس منه.

---

(١) لسان العرب (١/ ٢٨٩).

فعلى هذا فإن المحبة: غليان القلب عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب.

وقيل: إنها مشتقة من اللزوم والثبات، ومنه حب البعير وأحب إذا برك ولم يقم،قال الشاعر:

حَلَّـتْ عَلَيْهِ بِالفَـلاَةِ ضَرْبَـا
ضَرْبَ بَعِيـرِ السُّـوءِ إِذ أَحَبَّـا

أي: إذا أقام في المقام ولزمه، فكأن المحب قد لزم قلبُه محبوبَه، فلم يرم عنه انتقالاً.

وقيل: إنها مأخوذة من الحَبِّ، جمع حبة، وهو لباب الشيء وخالصه وأصله، فإن الحب أصل النبات والشجر.

وقيل: بل مأخوذة من الحِب الذي هو إناء واسع يوضع فيه الشيء، فيمتلئ به بحيث لا يسع غيره، وكذلك قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه.

ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة، فإنها صفاء المودة وهيجان إرادات القلب للمحبوب، وعلوها وظهورها

منه لتعلقها بالمحبوب المراد، وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوما لا تفارقه، ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه[١].

المفهوم الشرعي للمحبة:

محبة العباد لله هي: ميل القلوب إليه بالحب والتعظيم والإجلال والرجاء[٢]، فهي إذن عمل قلبي، يزيد وينقص ويتفاوت العباد فيه وما (يذكره الناس غالبا في المحبة يدور حول أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها، أما حقيقتها فهي لا توصف بوصف أوضح ولا أظهر من المحبة) [٣].

---

(١) ينظر مدارج السالكين (٣/ ٩-١٠).
(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٦٦).
(٣) ينظر مدارج السالكين (٣/ ٩-١٠).

حكم محبة الله سبحانه وتعالى

محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، الذي يدور عليه قطب رحاها، وبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان.

وهذه المحبة واجبة بإجماع المسلمين، والعبدُ مكلفٌ بأن يأتي بما يوصله إلى محبة الله سبحانه، ليستكمل لوازم الإيمان وشروطه.

دخل البصري على أبي عباس بن سريج فقال له ابن سريج: أين تعرف في نص الكتاب أن محبة الله فرض؟ فقال: لا أدري. فقال له: قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التوبة:٢٤]، والوعيد لا يكون إلا على ترك فرض[(١)].

(١) شعب الإيمان (١/ ٣٦٥).

ومحبة العبد لله سبحانه الواجبة هي محبة التعظيم والإجلال والعبادة، وليست كغيرها من أنواع المحبة.

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: (إن المحبة قسمان: مشتركة، وخاصة.

فالمشتركة: ثلاثة أنواع: أحدها: محبة طبيعية؛ كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، ونحو ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق؛ كمحبة الوالد لولده الطفل، وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم.

الثالث: محبة أنس وإلف؛ وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر لبعضهم بعضاً، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً.

فهذه الأنواع الثلاثة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله.

القسم الثاني: المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله، ومتى

أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله، وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً)[١].

(١) تيسير العزيز الحميد (٤١١).

العلامات الدالة على محبة العبد لربه تعالى

لما كانت المحبة خفية في القلب سهُل أن يدّعيها كل أحد: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة:١٨].

فما أسهل الدعوى وما أعز الحقيقة!.

فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس إذا ادعت نفسه محبة الله ما لم يمتحنها بالعلامات، ويطالبها بالبراهين، ليعلم أصادقة هي أم كاذبة فيما تدعيه!.

والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وعلاماتها تظهر في القلب والجوارح، فتدل العلامات على المحبة كدلالة الثمار على الأشجار، والدخان على النار، وهذه العلامات كثيرة، نذكر منها:

حب لقاء الله تعالى:

فإنه لا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب لقاءه ومشاهدته، عن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِت ﵁، عنِ النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ**»[1]. فالمحب الصادق يذكر محبوبه دائماً، ولا ينسى موعد لقاء حبيبه.

ولما علم الله ﷻ شوق عباده المحبين له والمطيعين ضرب لهم موعداً بينه وبينهم، فقال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت:٥].

ولكن ما هو موعد اللقاء بين الرب والعبد؟.

هناك أكثر من موعد بينهما، الأول: الموت، والثاني: يوم القيامة، والثالث: اللقاء في الجنة والنظر إلى وجه الرب.

وليس المراد هنا أن على العبد أن يتمنى الموت الآن إن كان محباً لله، ولكن المراد أن المحب لله إذا نزل به الموت أحب

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣).

نزوله؛ لأنه سيفضي به إلى لقاء الله وقربه، وإلى الاستمتاع بما أعد له من الثواب والنعيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه:

قال محمد بن العلاء -رحمه الله-: (من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس)[١].

وقال الجنيد -رحمه الله-: (من أحب الله نسي ما دون الله)[٢].

فالمحب لله يواظب على التهجد، ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت وانقطاع العوائق، فإن أقل درجات التنعم بمناجاة الحبيب، ومن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذّ عنده من

(١) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا(٦٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨٨).
(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ١٧٤).

مناجاة الله فكيف تصح محبته؟، فإن المحب يتلذذ بخدمة محبوبه وتصرفه في طاعته، وكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل.

وهذا نبينا ﷺ قد حُبِّبَ إليه من الدنيا أنواعٌ من الطيبات، ومع ذلك فإن قرة عينه إنما كانت في مناجاة حبيبه في الصلاة، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[(١)].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فقرة العين فوق المحبة، فجعل النساء والطيب مما يحبه، وأخبر أن قرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها، ومحض لذته وفرحه وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة، التي هي صلة الله، وحضور بين يديه، ومناجاة له، واقتراب منه، فكيف لا تكون قرة العين؟ وكيف تقر عين المحب بسواها؟)[(٢)].

(١) رواه النسائي (٣٩٣٩)، وصححه الحاكم.
(٢) طريق الهجرتين (٧١).

وقال: (ومن قرَّت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات)[1].

الصبر على الطاعات:

قال ابن القيم -رحمه الله-: (قرة عين المحب ولذته ونعيم روحه في طاعة محبوبه، بخلاف المطيع كرهاً، المتحمل للخدمة ثقلاً، الذي يرى أنه لولا ذُلُّ قهره وعقوبة سيده له لما أطاعه، فهو يتحمل طاعته كالمكره الذي أذله مُكرِهُه وقاهرُه، بخلاف المحب الذي يَعُدُّ طاعة محبوبه قوتاً ونعيماً ولذةً وسروراً، فهذا ليس الحامل له على الطاعة والعبادة والعمل ذل الإكراه)[2].

فالمحب تكون دواعي قلبه وجواذبه منساقة إلى الله طوعاً

---

(١) الوابل الصيب (٣٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٢-١٠٣) بتصرف.

ومحبة وإيثاراً كجريان الماء في منحدره، وهذا حال المحبين الصادقين؛ فإن عبادتهم طوعاً ومحبة ورضا، ففيها قرة عيونهم وسرور قلوبهم ولذة أرواحهم.

ولكن كيف نوفّق بين هذا وبين ما يجده الإنسان من المشاق في عباداته؟ كما يشق على الكثير القيام لصلاة الفجر -مثلاً-، فهل معنى ذلك أن هذا إنسان لا يحب الله؟.

الجواب: أن الوصول إلى مرحلة يكون فيها العابد لربه كالماء الذي يجري في المنحدرات؛ لا تتم من أول الأمر، ولا يصل إليها العبد من أول العبادة والعمل، بل يصل إليها بعد تدريب ومكابدة ومشقة ومجاهدة، ولذلك فإن اللذة والتنعم بالطاعة تحصل بعد الصبر على التعب والمكاره أولاً، فإذا صبر وصدق في صبره وصل إلى مرحلة اللذة التي تكون العبادة بعدها عنده كجريان الماء في منحدره، ولذلك قال ثابت البناني -رحمه الله-: (كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة)[١].

(١) حلية الأولياء (٢/ ٣٢١).

ولا يزال السالك عرضة للفتور والانتكاس والآفات حتى يصل إلى هذه الحالة، ففترة المشقة تكون مصحوبة باحتمالات انتكاس وفتور وبرود وآفات حتى يصل إلى مرحلة اللذة بالطاعة، ويمكن للفرد أن يشعر أنه يتلذذ بالطاعة أحياناً، وتشق عليه أحياناً، وأن نفسه تتقلب؛ حتى تستقر على التلذذ بالطاعة دائماً.

ومن عرف أن هذا هو طريق محبة الله، وعرف كيف يكون أوله وآخره وماذا سيلقى؟ أعد نفسه لهذا، وهذه مسألة في غاية الأهمية.

فالعمل لله والعبادة مراتب ودرجات، ومَن فَقِه هذا التدرج عرف كيف يصل، أما الذي لا يعرف عن هذا الموضوع شيئاً فعباداته كلها تقليد، وليس عنده تصور لقضية البدء والاستمرار، وما يحصل في الطريق من آفات.

الصبر على المكاره:

والصبر على المكاره من آكد المنازل في طريق المحبة وألزمها للمحبين، فهم أحوج إلى منزلة الصبر من كل منزلة.

فإن قيل: كيف تكون حاجة المحب إليه ضرورية مع منافاته لكمال المحبة، فإنه لا يكون إلا مع منازعات النفس لمراد المحبوب؟.

قيل: هذه هي النكتة ولب الموضوع والقصد والفائدة التي لأجلها كان الصبر من آكد المنازل في طريق المحبة وأعلقها به، وبه يُعلم صحيحُ المحبة من معدومها، وصادقُها من كاذبها، فإنه بقوة الصبر على المكاره في مراد المحبوب يعلم صحة المحبة، ومن هنا كانت محبة أكثر الناس كاذبة لأنهم كلهم ادعوا محبة الله تعالى، فحين امتحنهم بالمكاره انخلعوا عن الحقيقة ولم يثبت إلا الصابرون، فلولا تحمل المشاق وتجشّم المكاره بالصبر ما ثبتت صحة الدعوة، وقد تبين أن أعظم الناس محبة لله أشدهم صبراً، وهذا ما وصف الله به أولياءه وخاصته، فقال عن عبده أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ابتلاه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وأمر أحب الخلق إليه بالصبر لحكمه، وأخبر أن الصبر لا يكون إلا بالله، فيصبر لله والصبر لا يكون إلا بالله، فقال

سبحانه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ [النحل:١٢٧].

قال يحيى بن معاذ -رحمه الله-: (في جوف المحبة احتمال المكروهات)[١].

وقال: (حقيقة المحبة: أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفوة)[٢].

وقال الحليمي -رحمه الله-: (من أحب الله تعالى لم يعد المصائب التي يقضيها عليه إساءة منه إليه، ولم يستثقل وظائف عبادته وتكاليفه المكتوبة عليه)[٣].

أن لا يُؤْثِرَ عليه شيئاً من المحبوبات:

فيكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، قال عُمَرُ رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أَحَبُّ إِلَيَّ من كل شيء إِلا من نفسي.

---

(١) شعب الإيمان (٢/ ١٣).
(٢) شعب الإيمان (١/ ٣٨٣).
(٣) شعب الإيمان (١/ ٣٦٨).

فقال النبي ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**». فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أَحَبُّ إِلَيَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»[(١)].

إذن فمن العلامات على صدق المحبة: أن لا يقدم العبد شيئاً على الله ورسوله، لا ولده ولا والده ولا الناس ولا أي شهوة، ومن آثر على الله شيئاً من المحبوبات فقلبه مريض، قال الشاعر:

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّـهُ
هَذَا مُحَـالٌ فِي القِيَـاسِ بَدِيـعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَـهُ
إِنَّ الْـمُحِبَّ لمَنْ يُحِبُّ مُطِيْعُ[(٢)]

وسئل أبو الحسين بن مالك -رحمه الله-: ما علامة المحبة؟ قال: ترك ما تحب لمن تحب[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٦٦٣٢).
(٢) روضة المحبين (٢٦٦).
(٣) شعب الإيمان (١/ ٣٨١).

ملاحظة مهمة في هذه المسألة:

وهي ملاحظة تهم الدعاة في التعامل مع المدعوين، وهي أن العصيان لا ينافي أصل المحبة، إنما يضاد كمالها.

فلو شرب أحدهم الخمر -مثلاً- لا يقال إنه لا يحب الله أبداً؛ لأن المحبة كالإيمان لها أصل ولها كمال، فبحسب المعاصي ينقص الكمال، ولكن الذي ليس في قلبه محبة لله فهو كافر مرتد ومنافق نفاقاً أكبر، وليس له من الدين نصيب.

عن عمر بنِ الخطابِ رضي الله عنه أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان يُضْحِكُ رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جَلَدَهُ فِي الشرابِ، فأُتي بِهِ يوماً فأمر بِهِ فَجُلِدَ، فقال رجل من القوم: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، ما أكثر ما يُؤْتى بِهِ. فقال النبِي ﷺ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَ الله مَا عَلِمْتُ، إِنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ**»[(١)].

قال ابن حجر -رحمه الله- في هذا الحديث: (وفيه أن لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠).

المرتكب؛ لأنه ﷺ أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه، وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله.

ويحتمل أن يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيداً بما إذا ندم على وقوع المعصية وأقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور، بخلاف من لم يقع منه ذلك، فإنه يخشى عليه بتكرار الذنب أن يطبع على قلبه شيء حتى يسلب منه ذلك نسأل الله العفو والعافية)[1].

أن يكون مولعاً بذكر الله تعالى:

قال إبراهيم بن الجنيد -رحمه الله-: (كان بعض العباد يقول: إن من أخلاق أهل محبة الله كثرة الذكر في ساعات الليل والنهار بالقلب واللسان، فإن أمسك اللسان فالقلب؛ فإن ذكر القلب أبلغ وأنفع)[2].

(١) فتح الباري (١٢/ ٨٧).
(٢) حلية الأولياء (١٠/ ١٨٦).

فالمحب الصادق لا يفتر لسانه عن ذكر الله، ولا يخلو عنه قلبه، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره بالضرورة، ومن ذكر ما يتعلق به أحب عبادته وكلامه وذكره وطاعته وأولياءه.

قال مالك بن دينار -رحمه الله-: (علامة حب الله دوام ذكره؛ لأن من أحب شيئاً أكثر ذكره)[1].

ولقد أمر الله تعالى عباده بذكره في أخوف المواضع، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأنفال: ٤٥] فلا تشغلكم ظلال السيوف وقعقعتها عن ذكر ربكم.

فعلامة المحبة الصادقة ذكر المحبوب عند الرغبة والرهبة، وقد كان العرب في الجاهلية يفتخرون في أشعارهم بذكر المحبوبة في الحرب وتحت وقع السلاح، وأهل الإيمان أولى بهذا منهم بحبهم للرحمن، وأكثر مما يفعله العاشقون والضلاّل مع محبوبيهم.

---

(١) شعب الإيمان (١/ ٣٨٨).

ومن الذكر الدال على صدق المحبة: سبقُ ذكر المحبوب إلى قلب المحب ولسانه عند أول يقظة من منامه، وآخر شيء يذكره قبل أن ينام مرة أخرى، فينام على ذكره ويستيقظ على ذكره، ومن حافظ على أذكار النوم والاستيقاظ دل على محبته للكبير المتعال.

المحب الصادق إذا ذكر الله خالياً وجل قلبه وفاضت عيناه من خشية الله:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]. فعشاق الدنيا إذا جاء ذكر محبوبهم ومعشوقهم تسارعت نبضات قلوبهم، فكيف يكون حال المؤمنين إذا ورد ذكر الله؟!.

أن يغار لله:

فيغضب لمحارمه إذا انتهكها المنتهكون، ولحقوقه إذا تهاون بها المتهاونون، فهذه هي غيرة المحب حقاً، والدين كله تحت هذه الغيرة، فأقوى الناس ديناً وأعظمهم محبة لله أعظمهم غيرة

على حرمات الله، ولذلك ينكرون المنكرات ويمنعونها غيرة، لأن محبوبهم لا يرضى بهذا، فهم لا يرضون به ولا يرضون بحصوله ويسعون في تغييره.

محبة كلام الله عز وجل:

إذا أردت أن تعلم ما عندك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك، فإن من المعلوم أن من أحب محبوباً كان كلامه وحديثه أحبَّ شيء إليه، فلا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم، ومن هنا كان عكوف المحبين لله على كتاب الله، تلاوةً وتفسيراً وتدبراً واستشهاداً به في كل موقف، فيكثرون من القراءة نظراً وحفظاً.

ألا ترى أن بعض الناس إذا أحب شخصاً فكثيراً ما يقتطف من كلامه، ويستشهد به ويتمثله، فكيف بحال المحبين لله تعالى والمحبين لكتابه!!.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من كان يحب أن يعلم

أنه يحب الله عَزَّ وَجَلَّ فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنما القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ)[(١)].

وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: (والله لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن أحب القرآن فقد أحب الله عَزَّ وَجَلَّ)[(٢)].

أن يتأسف على ما يفوته من طاعة الله وذكره:

فترى أشد الأشياء عليه ضياع شيء من وقته بدون عمل وطاعة، وإذا فاته وِرْدُه وجد لفواته ألماً أعظم من تألم الحريص على ماله من فوات ماله وسرقته وضياعه، وبادر إلى قضائه في أقرب فرصة كما كان يفعل الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عمل عملا أثبته، وكان إِذا نام من الليلِ أو مرِض صلى من النهارِ ثنتي عشرةَ ركعة[(٣)].

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١٢٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٢): رجاله ثقات.

(٢) شعب الإيمان (١/ ٣٦٥).

(٣) رواه مسلم (٧٤٦).

أن يستقل في حق محبوبه جميع أعماله ولا يراها شيئاً:

فلا يرى أن عبادته والصبر عليها بشيء، ولا يرى أفعاله قط إلا بعين النقص والازدراء، ويرى شأن محبوبه أعظم من كل ما عمل من أجله وأعلى قدراً، فلا يرضى بعمله، بل يتهم عمله ويحتقره، ويخشى أنه ما وفّى حق محبوبه، ويتوب إليه من النقص، ولذلك فهو يقول بعد الصلاة: أستغفر الله، فهو دائم الاستغفار للنقص الحاصل في عبادة الرب، وكلما ازداد حباً لله ازداد معرفة بحقه فاستقل عمله أكثر، قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

أن يكون ذليلاً على المسلمين، عزيزاً على الكافرين، مجاهداً، لا يخاف في الله لومة لائم:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ما هي صفاتهم؟ ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾

[المائدة: ٥٤] فهذه أوصاف أربعة: ذلتهم ورحمتهم للمؤمنين، وعزتهم على الكافرين، وجهادهم في سبيل الله، وعدم خوفهم لومة لائم.

سئل ذو النون المصري -رحمه الله- عن المحبة فقال: (أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير لله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، مع العطف للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتباع سنة رسول الله ﷺ في الدين)[1].

اتباع شرع الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: (هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع

---

(١) شعب الإيمان (١/ ٣٦٩).

الشــرع المحمدي والديـن النبوي في جميـع أقوالـه وأفعـاله وأحواله)[١].

وقال الزمخشري -رحمه الله-: (من ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله فهو كذاب، وكتاب الله يكذبه، وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكره ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا أنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته، ثم صفق وطرب ونعر وصعق عند تصورها، وربما رأيت المني قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته، وحمقى العامة على حواليه قد ملؤوا أدرانهم بالدموع لما رققهم من حاله)[٢].

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٧).
(٢) الكشاف (١٧٣).

الموالاة في الله، والمعاداة في الله:

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (من تمام محبة الله ورسوله: بغض من حاد الله ورسوله)[١].

وقال المناوي -رحمه الله-: (إن المحبة في الله محبة لله)[٢].

محبة المؤمنين والصالحين:

قال شاه الكرماني -رحمه الله-: (محبة أولياء الله دليل على محبة الله)[٣].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (ومن محبة الله ومحبة رسوله محبة أهل ملته)[٤].

كحب آل البيت: فعن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: قال رسول

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٦١).
(٢) فيض القدير (٤/ ٤٨٥).
(٣) حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٧).
(٤) فتح الباري (١/ ١٤٩).

الله ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ الله مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأَسْبَاطِ»[١].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ الله، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيّاً فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ الله»[٢].

وحب الصحابة: قالت عائشة رضي الله عنها: لا ينبغي لأحد أن يبغض أسامة بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ يُحِبُّ الله عز وجل وَرَسُولَهُ فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ»[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٧٥) وابن ماجة (١٤٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ٣٨٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (٢٥٢٧٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

الزهد في الحياة الدنيا:

قال محمد بن المبارك -رحمه الله-: (ما أثبت لأحد ادعى محبة الله وهو يلف الثريد بثلاثة أصابع)[١]. أي: يكثر من تناول الطعام، ويكون شرهاً فيه؛ فإن محبة الله يستلزم منها بغض هذه الحياة الدنيا والتزهد منها؛ لأن تعلق قلبه بأكبر من هذه الأمور.

(١) حلية الأولياء (٩/ ٢٩٨).

الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى

إن على المسلم أن يسعى بكل طاقته وجهده ليكون محباً لله تعالى، لأجل هذا نستعرض هنا بعض الأسباب الجالبة لمحبة الله سبحانه وتعالى في قلب العبد المؤمن:

قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، فهذا هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم من إنزال القرآن، أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يقرأ، ويتجاوب مع كل آية بمشاعره وعواطفه دعاءً واستغفاراً ورجاءً.

عن حُذَيْفة رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مع النبِي ﷺ ذات ليلة فافتتح

البقرة، فقلت: يركع عند المائة. ثم مضى، فقلت: يصلي بِها فِي ركعة. فمضى فقلت: يركع بِها. ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عِمران فقرأها، يقرأ مترسلا، إِذا مر بِآية فيها تسْبِيح سَبَّح، وإِذا مر بِسؤال سأل، وإِذا مر بِتعوُّذ تَعَوَّذ[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أن النبِي ﷺ كان إِذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قال: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»[2].

فلاشيء أنفع للقلب وأجلب لمحبة الله من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والشكر والصبر وسائر الأحوال وأعمال القلوب، ثم يزجر عن الصفات المذمومة والأفعال القبيحة التي تفسد القلب وتهلكه.

---

(١) رواه مسلم (٧٧٢).
(٢) رواه أبو داود (٨٨٣) وأحمد (٢٠٦٦)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال: على شرطهما.

وقد أهمل الناس هذا الجانب، ولم يفقهوه، قال الحسن البصري -رحمه الله-: (أُنزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملاً)[١]. يعني: أنهم اقتصروا على تلاوته، وتركوا العمل به.

فالتفكر بالقرآن أصل صلاح القلب، والعمل به متمم لذلك، ولابد لهذا من هذا.

فعل الطاعات وترك المخالفات:

قال ابن حجر -رحمه الله-: (محبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته)[٢].

وقال يحيى بن معاذ -رحمه الله-: (ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده)[٣].

(١) تلبيس إبليس (١٣٧).
(٢) فتح الباري (١/ ٦١).
(٣) كلمة الإخلاص (٣٢).

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (الصلاة قدرها عظيم، فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها، وذلك لأنها محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وربه، ولا شيء أقر لعين العبد منها، ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه، لأن فيه نعيمه، وبه تطيب حياته، وإنما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب)[١].

التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الله قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[٢].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٤٥).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

فتضمن هذا الحديث الإلهي الشريف حصر أسباب محبة الله في أمرين: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل، وأخبر سبحانه أن أداء الفرائض أحب ما يتقرب إليه المتقربون ثم من بعدها النوافل، والعبد يستكثر من النوافل، ولا يزال يكثر منها حتى يصير محبوباً لله، فإذا صار محبوباً شغلته المحبة عن أي أفكار وخواطر أخرى أجنبية غريبة عن العبادة فلا تخطر على باله، وإذا جاءت فإنها تنصرف وتنطرد بسرعة، لأنه صار عنده من مراقبة الله ما يمنع هذه الأفكار من الورود، ويكون عنده من المهابة والعظمة لربه ما يمنع من الانشغال بأي شيء أجنبي عن عبادته، ويكون عنده من الإجلال لله والأنس به والشوق إليه ما يجعله دائماً ذاكراً تالياً عابداً عاملاً.

فإذا قيل: إن هناك أناساً – وهذا حال أكثر المسلمين- يستكثرون من النوافل وهم مقصرون في الواجبات ويقترفون المعاصي، فما الحل؟.

فالجواب: ليس الحل في ترك النوافل، فبتركها يزداد حالهم

سوءاً؛ لأن النوافل تجبر نقص الفرائض، بل الحل في البقاء على النوافل، ولكن عليه أن يصلح حال الواجبات ويمتنع عن المحرمات ويزيد في النوافل، فهذا هو السبيل.

أن يكثر ذكر الله باللسان والقلب والعمل:

فنصيب العبد من المحبة على حسب نصيبه من هذا الذكر، ولهذا أمر تعالى بالإكثار من ذكره، وبين أنه سبب للفلاح، فقال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥]، وأثنى على أهل الذكر ومدحهم وأخبر نبيه ﷺ أنه فوق منزلة الجهاد.

وشرع الله هذا الذكر حتى بعد العبادات العظيمة وخاتمة الأعمال الصالحة، فبعد الصيام: ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة:١٨٥]، وبعد الحج: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة:٢٠٠]، وبعد الصلاة: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ ﴾

[النساء: ١٠٣]، وبعد الجمعة: ﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

فذكر الله تعالى من أعظم ما يوصل إلى محبته عز وجل.

أن تؤثر محابه على محابّك عند غلبات الهوى، وأن تتسنم إلى محابّه ولو صعُب المرتقى:

وعلامة هذا الإيثار شيئان:

أ- فعل ما يحبه الله، ولو كانت نفسك تكرهه.

ب- ترك ما يكرهه الله، ولو كانت نفسك تحبه.

وبهذين الأمرين يصح مقام الإيثار، ومؤونة هذا الإيثار شديدة لقوة داعي الهوى والطبع والعادة، ولكن المؤمن الذي يريد أن يصل إلى مرتبة المحبة وأن يجلب محبة الله له يتكلف المؤونة الشديدة ويراغم نفسه الضعيفة لكي يصل إلى هذا ويحقق هذا الإيثار، فيشمر وإن عظمت المحنة ويتحمل الخطر الجسيم

إرضاء للملك ولأجل الحصول على الفوز الكبير، فإن ثمرة هذا في العاجل والآجل ليست تشبهه ثمرة من الثمرات.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ما ابتلى الله سبحانه عبده المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي وميل نفسه إليها إلا ليسوقه بها إلى محبة ما هو أفضل منها وخير له وأنفع وأدوم، وليجاهد نفسه على تركها له سبحانه، فتورثه تلك المجاهدة الوصول إلى المحبوب الأعلى، فكلما نازعته نفسه إلى تلك الشهوات واشتدت إرادته لها وشوقه إليها؛ صرف ذلك الشوق والإرادة والمحبة إلى النوع العالي الدائم)[١].

والقاعدة: أن الإنسان لا يمكن أن يترك محبوباً إلا لمحبوب أعلى منه، فكان لأجل ذلك من مشى إلى محبوبه على الجمر والشوك؛ أعظم من مشى إليه راكباً على النجائب[٢]، فليس من آثر محبوبه مع منازعة نفسه كمن آثره مع عدم منازعتها.

---

(١) الفوائد (١١٠-١١١).
(٢) أي النجيب من الإبل، والجمع نُجُب ونَجَائب وهو القوي منها الخفيف السريع، لسان العرب(١/ ٧٤٨).

ولماذا كان صالحو البشر أفضل من الملائكة؟.

لأن الملائكة ليس لديهم شهوات ومنازاعات، فهم منقادون إلى الله بطبيعتهم، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ما من موضع أربعة أصابع في السماء إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد، ولذلك أطّت السماء من ثقل الملائكة الذين يعبدون الله فيها، لكن الذي يسبح ويعبد دون أن يفتر مع منازعة نفسه والشهوات، ومع العوائق والعلائق وهو صامد صابر؛ فهذا أعلى وأفضل.

ولماذا كانت المرأة من البشر في الجنة أفضل من الحور العين؟.

بمجاهدتها نفسها ومراغمتها، ومحاولتها التغلب على الشهوات، وصبرها، وصلاتها وصومها وعبادتها.

فهو سبحانه يبتلي عبده بالشهوات إما حجاباً له عنه، أو حجاباً له يوصله إلى رضاه.

مشاهدة بره تعالى وإحسانه وآلائه ونعمه الظاهرة والباطنة:

فإنها داعية إلى محبته، والقلوب قد جبلت على محبة من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، ولا أحد أعظم إحساناً على أحد من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فإن إحسانه على عبده في كل نَفَسٍ ولحظة، والعبد يتقلب في نعم الرب دائماً في كل الأحوال، ويكفي العبد أن يعلم أن الله سبحانه ينعم في كل يوم وليلة: أربعة وعشرين ألف نعمة، ضمن نعمة واحدة وهي نعمة النَّفَس.

كيف ذلك؟.

إن الإنسان -كما حسب علماء الطبيعة- يتنفس في الساعة ألف مرة، ففي الأربع والعشرين ساعة يتنفس أربعاً وعشرين ألف مرة، فهذه أربع وعشرون ألف نعمة في اليوم والواحد، فما الظن بالنعم الأخرى؟ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]!.

بل كيف بالمضرّات التي يصرفها ويدفعها عنك سبحانه إضافة لهذه النعم والإحسان؟ فقد وكّل سبحانه لك حفَظَة يحفظونك: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ

أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد:١١]، والله يكلؤنا بالليل والنهار: ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [الأنبياء:٤٢].

والأطباء يقولون: إن وسائل الإصابة بالأمراض متعددة وكثيرة جداً، ولكننا لا نعلم كيف اندفعت عنا الشرور، إنها نعمة الله علينا وفضله، فهو سبحانه المنعم بالكلاءة والحفظ والحراسة من كل المؤذين، فهو يحفظهم لا حافظ غيره: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف:٦٤].

والله سبحانه ينعم علينا رغم المعاصي والإساءات والتقصير، ولو أنه حاسبنا على معاصينا لهلكنا.

عن أبي موسى رضي الله عنهما: عنِ النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سمِعَهُ مِنَ الله، إِنَّهُمْ لَيَدعُونَ لَهُ وَلَداً، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ!**»[1].

(١) رواه البخاري (٦٠٩٩).

مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته:

فإن محبة الله التي نتحدث عنها هي أمر هائل جسيم، وفضل غامر جزيل، لا يقدر على إدراك قيمتها إلا من عرف الله بصفاته كما وصف نفسه، فمن عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبّه لا محالة، وقلة المعرفة يكون منها قلة المحبة، فكيف نُحِبُّ من لا نعرفه؟!..

قال عتبة -رحمه الله-: (من عرف الله أحبه)[١].

وقال القاسم الجوعي -رحمه الله-: (أصل المحبة: المعرفة)[٢].

وهذا الباب هو الذي يدخل منه خواصّ أولياء الله العارفين به، وهو باب المحبين حقاً الذي لا يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من معرفته أحدٌ منهم، كلما بدا لهم منه علم؛ ازدادوا شوقاً ومحبة إلى الله، فإذا انضمّ داعي الإحسان والإنعام إلى داعي

(١) حلية الأولياء (٦/ ٢٣٦).
(٢) حلية الأولياء (٩/ ٣٢٣).

الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأُ القلوب وأخبثُها وأبعدُها عن كل خير، فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده؛ فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحساناً من الله، ولا شيء أكمل من الله، ولا شيء أجمل من الله، فكل جمال وكمال في المخلوق أصلاً فهو من آثار صنعه سبحانه وتعالى، لا يُوصف جلاله وجماله، ولا يحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله، بل هو كما أثنى على نفسه.

فإذا كان بعض الناس يحبون الجميل؛ فالله عَزَّوَجَلَّ أجمل من كل شيء، وله صفة الجمال، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عنِ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الله جَمِيلٌ**»[1]، وإذا كان يوسف أعطي نصف حسن البشر؛ فالله سبحانه هو من أعطاه إياه، وهو أجمل من كل شيء، ولذلك إذا رآه أهل الجنة نسوا كل شيء،

---

(١) رواه مسلم (٩١).

ومن تأمل هذا عرف كيف يتغلب على الأشياء الجميلة في الدنيا من المعاصي.

وكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته تستدعي محبة خاصة. فلو نظرت إلى اسمه (الكريم) فإنك تحبه، وإذا نظرت إلى اسمه (الجليل) فإنك تحبه، وإذا نظرت إلى اسمه (التواب) فإنك تحبه، ... وهكذا، فكل اسم من أسمائه تعالى، وكل صفة من صفاته تقود إلى محبته محبةً أكثر، محبة تنطلق من هذا الاسم وهذه الصفة وهذا الفعل، فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل، وكل ما أمر، إذ ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفَه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، وكل واحد من هذه يستوجب حمداً وثناءً على الله سبحانه وتعالى.

مَـا لِلْعِبَـادِ عَلَيْـهِ حَـقٌّ وَاجِـبٌ
كَلَّا وَلَا سَعْــيٌ لَدَيْـهِ ضَائِـعُ

إِنْ عُذِّبُـوا فَبِعَدْلِـهِ أَوْ نُـعِّمُــوا
فَبِفَضْلِهِ وَهْوَ الكرِيمُ الوَاسِـعُ[١]

ولا يتصور بشر هذا المقام حق تصوره فضلاً عن أن يوفيه حقه، وأعرف خلقه به وأحبهم إليه محمد ﷺ قال: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ!**»[٢]، فلا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه ألبتة.

وله من الأسماء والأوصاف ما لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، لذلك يوم القيامة يعلم نبيه أسماء عندما يسجد تحت العرش لم تخطر ببال أحد، ويثني عليه بمحامد ما علَّمَها لأحد قبله.

ولو شهد العبد بقلبه صفة واحدة لله من أوصاف كماله استدعت المحبة التامة، فكيف إذا شهد بقية الصفات والأسماء

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٣٩٠).
(٢) رواه مسلم (٤٨٦).

والأفعال، وما نعلمه نحن عن الله وأسمائه وصفاته ليس إلا كنقرة عصفور في بحر!. ولا نعرف الله تعالى معرفة مشاهدة بالعين، بل ما عرفناه إلا من خلال الأسماء والصفات، وما وصل إلى العباد من العلم بالله عن طريق الوحي، وما رأوه في الواقع هو آثار أسماء الله وصفاته، فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم، فكيف لو شاهدوا ذات الرب ووجهه؟!، فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه؛ لكان لهم في حبه شأن آخر، ولذلك إذا رأوه في الجنة أشغلهم عن كل نعيم آخر!.

ولذلك تتفاوت منازل المحبين ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به، فأعرف الخلق بالله أشدهم حباً له، ولذلك كانت رسله أعظم الناس حبّاً له، والخليلان من بينهم أعظم الناس محبة وأعظم الأنبياء محبة لله وأعرفهم به تعالى؛ إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فوقه.

ثم يأتي بعد ذلك العلماء، فهم أكثر الناس محبة لله لأنهم يعرفون من الأسماء والصفات ومعانيها وآثارها ما لا يعرفه عامة الناس.

انكسار العبد بين يدي الرب والافتقار إليه:

والخضوع والتذلل والإخبات والاستسلام والانطراح بين يديه كلها من أسباب المحبة، فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور، وما أدنى النصر والرحمة والرزق من هذا العبد الذي أذل نفسه لربه، وأحب القلوب إلى الله قلبٌ تمكن منه الانكسار وملكته الذلة، والله سبحانه يحب من عبده أن يكمل مقام الذل بين يديه لأن هذه حقيقة العبودية.

والذل أنواع، وأكملها ذل المحب لحبيبه، وهناك ذل المالك لمملوكه، وذل الجاني عند المحسن إليه، وذل العاجز عند القادر على إطعامه وإيوائه، فإذا كان الذل لله عَزَّ وَجَلَّ قائماً؛ كانت المحبة كبيرة، والعبد ولا شك يذل بين يدي الله كل هذه الأنواع.

الخلوة بالله تعالى في وقت النزول الإلهي:

لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف معه بأدب العبودية استغفاراً وتوبة: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا

﴿ وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦]، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ [الزمر:٩].

القراءة في المصحف:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف)[1].

لأن في القراءة نظراً زيادة ملاحظة للذات والصفات، فيحصل من ذلك زيادة ارتباط توجب زيادة المحبة.

وهناك أسبابٌ أُخَر توصل الإنسان إلى طريق المحبة لله سبحانه وتعالى، وعلى المحب أن يبحث عنها ليَصِل إلى كمال المحبة وتمامها.

---

(١) حلية الأولياء(٧/ ٢٠٩)، وحسنه الألباني.

ثمرات المحبة

إن معرفة ثمرة الشيء معينةٌ على محاولة الوصول إليها والحصول عليها، فمن ثمرات المحبة:

دخول الجنة والابتعاد عن النار:

ولو لم يكن في محبة الله إلا أنها تنجي محبه من عذابه؛ لكان ينبغي للعبد أن لا يتعوض عنها بشيء أبداً.

حصوله على محبة الله سبحانه:

عن أبي إدريس الْخَوْلَانِيِّ رحمه الله قال: دخلت مسجد دمشق الشَّامِ، فإذا أنا بفتى براق الثنايا، وإذا الناس حوله إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه،فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل. فلما كان الغد هجرت، فوجدته قد سبقني بالهجير، ووجدته يصلي، فانتظرته حتى إذا قضى صلاته جئته من قبل وجهه فسلمت عليه فقلت له: والله إني لأحبك لله عَزَّوَجَلَّ. فقال: الله؟ فقلت: الله. فقال: الله؟ فقلت: الله.

فأخذ بِحبْوَةِ رِدائي فجذبني إِليه، وقال: أَبْشِرْ، فإِني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ الله لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قال: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هَذِهِ القَرْيَةِ. قال: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا[(٢)]؟ قال: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي الله عَزَّوَجَلَّ. قال: فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[(٣)]. وكلما زادت المحبة بين المؤمنين كان هذا أقرب إلى الله، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَحَابَّ رَجُلاَنِ فِي الله إِلاَّ كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى الله عَزَّوَجَلَّ أَشَدَّهُمْ حُبّاً لِصَاحِبِهِ»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (٢٢٠٨٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) أي: تحفظها وتراعيها.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٨٩٩)، وصححه الألباني.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سَرِيَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فَيَخْتِمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ الله يُحِبُّهُ»[(١)].

وعن أبي الطفيل قال: سمعت علياً رضي الله عنه وسألوه عن ذي القرنين أنبياً كان؟ قال: (كان عبداً صالحاً، أحب الله فأحبه)[(٢)].

حصوله على ثناء الناس في الحياة الدنيا:

عن أنس رضي الله عنه قال: مُرَّ بجنازة على رسول الله ﷺ فقال: «أَثْنُوا عَلَيْهَا». فقالوا: كان ما علمنا؛ يحب الله ورسوله. وأثنوا عليه خيرا[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٥) ومسلم (٨١٣).
(٢) تفسير الطبري (٨/ ٢٧٠).
(٣) رواه أحمد (١٣٠٦٢) وصححه الألباني.

الحماية من اللعن:

عن عمر بنِ الخطابِ رضي الله عنه أن رجلا على عهد النبِي ﷺ كان يُضْحِكُ رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جَلَدَهُ فِي الشرابِ، فأُتِي بِهِ يوماً فأمر بِهِ فَجُلِدَ، فقال رجل من القوم: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، ما أكثر ما يُؤْتى بِهِ. فقال النبِي ﷺ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَ الله مَا عَلِمْتُ، إِنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ**»[1].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- عن هذا الحديث: (دل على أن من لا يحب الله ورسوله يُلْعَن)[2].

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٢).

الخاتمة

وفي نهاية رحلة المحبين ينتهي بنا المطاف في هذا المقام، فنسأل الله أن يرزقنا محبته، وأن يجعل حبه أحب إلينا من الماء البارد على الظمأ، وأن يجعلنا ممن يقوم ويعمل بما يحب سبحانه وتعالى.

فيا من لوجهه عنت الوجوه: بيِّض وجوهنا بالنظر إليك، واملأ قلوبنا من المحبة لك، وأجرنا من التوبيخ غداً عندك.

اللهم كما علمتنا كتابك فوفقنا للعمل به حتى يكون شاهداً لنا عندك، وقائداً إلى جنتك، ومؤنساً لنا في وحشة القبور، ومركباً لنا يوم يقوم الأشهاد.

اللهم اجعلنا بالقرآن عاملين، ولأوامره متبعين، ولنواهيه مجتنبين.

اللهم بدل سيئاتنا حسنات، ولا ترنا أعمالنا حسرات، وأقبل بقلوبنا إليك، ولا تخزنا يوم الوقوف بين يديك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع، أسئلة حلولها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة):

١- ما المقصود بالمحبة اصطلاحا؟

٢- ما حكم محبة الله سبحانه؟

٣- للمحبة أقسام عدة. فما هي؟

٤- محبة العبد لربه شرف كبير، فما هي علاماته؟

٥- ما الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى؟

٦- للمحبة ثمرات وفوائد. فما هي أبرزها؟

أسئلة المستوى الثاني(الاستنباطية):

١- دل قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التوبة:٢٤]، على أن محبة الله فرض، فما وجه دلالتها على ذلك؟

٢- ما هو ضابط المحبة الخاصة بالله تعالى؟

٣- ما هو ضابط المحبة الطبيعية؟

٤- هل يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**» مشروعية تمني الموت؟ وما المعنى الصحيح للحديث؟

٥- يشق على بعض الناس القيام ببعض الشعائر العبادية كصلاة الفجر مثلا فهل ذلك يعني أنه لا يحب الله؟

٦- العصيان لا ينافي أصل المحبة ، اذكر دليلا على ذلك؟

٧- ما الحل الشرعي لمن يقصر في الفرائض ويواظب على النوافل؟

٨- ما علامات إيثار محاب الله على محابك؟

٩- هل يشرع لعن من لا يحب الله ورسوله؟مع ذكر الدليل على ذلك، ووجه دلالته؟

١٠- لأهل العلم مؤلفات عن المحبة، اذكر ما تيسر منها؟

المُحتويات